فقه الدعوة في سورة لقمان

إعداد

د: ماجد بن عبدالله بن إبراهيم البصيص

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة ، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

من ٥٧٩ إلى ٦٤٠

Fiqh of Dawah in Surat Luqman

Dr/ Majid bin Abdullah bin Ibrahim Al-Busais
Assistant Professor in the Department of Da'wa, Higher Institute of Advocacy and Accounting, Imam Mohammed Bin Saud Islamic University in Riyadh. Saudi Arabia

فقه الدعوة في سورة لقمان

ماجد بن عبدالله بن إبراهيم البصيص
قسم الدعوة ، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض
البريد الإلكتروني: Mab2615@gmail.com

ملخص بحث:
استهدف هذا البحث تدبر فقه الدعوة في بعض آيات سورة لقمان، وتناول البحث التعريف بالسورة وبلقمان. واستنباط فقه الدعوة المتعلق بالداعي في ضوء سورة لقمان. وإلقاء الضوء على فقه الدعوة المتعلق بالمَدْعُوّ من خلال سورة لقمان. وبيان فقه الدعوة المتعلق بموضوعات الدعوة في ضوء سورة لقمان. وعرض فقه الدعوة المتعلق بوسائل الدعوة وأساليبها في ضوء سورة لقمان.
وجاءت أهم نتائج البحث على النحو الآتي: أن السورة الكريمة اشتملت على كثير من الفوائد الدعوة التي تعين على تعلُّم فقه الدعوة وتطبيقه. وأن الإخلاص هو روح الدعوة، ومحرك الداعية الأول لتحقيق أهداف الدعوة ومقاصدها. وأن الأمر بإخلاص التوحيد، والنهي عن الشرك بجميع صوره، هما أساس دعوة جميع الأنبياء والرسل، ويجب على الدعاة الاهتمام بهما عند ممارسة العمل الدعوي على قدر منزلتهما من الدين. وأن طاعة غير الله تعالى مشروطة بألا تكون في معصية الله. وأنّ تقوى الله تعالى واستشعار مراقبته واطلاعه على العبد من أسس نجاح الداعية في دعوته؛ إذ إنها تجعله قريبًا من الله، وتجعل له قبولًا بين الناس فتؤثر دعوته بتوفيق الله تعالى في المدعوّين. وأن الصبر على ما يصيب الداعية في مسيرته الدعوية من فقه الدعوة المستنبط من موعظة لقمان الحكيم. وأن من ركائز نجاح الداعية أن يتحلّى بالحرص على هداية المدعوين مهما تطلب ذلك من وقت وجهد. وأن التواضع وخفض الجناح من أسباب قبول المدعوين للداعية ودعوته، ومن عوامل رسوخ محبة الداعية في قلوب المدعوين، وعلو مكانته في نفوسهم. وأن من فقه الدعوة المتعلق بالمدعوين ضرورة الاهتمام بتربية الأولاد تربية إيمانية تؤصل في نفوسهم العقيدة الصحيحة، والالتزام بأحكام الشريعة الغرّاء، والتحلّي بمكارم الأخلاق. وأن من أسباب نجاح الدعوة بشاشة وجه الداعية وتبسمه في كل حال. وأن من فقه الدعوة التوجيه إلى ضبط مستوى الصوت بما يناسب المقام بأن يكون بقدر ما يسمع المخاطب، فلا يكون مرتفعًا مزعجًا، ولا يكون منخفضًا لا يُسمع. وأن من فقه الدعوة كذلك مراعاة التدرج في ممارسة العمل الدعوي بان يبدأ الداعية بالأهم ثم المهم. وأن من الأساليب المؤثرة في نجاح الدعوة أسلوب ضرب الأمثال، وأن بيان علل الأحكام الشرعية يعين الداعية على إقناع المدعوين بها، وإلقاء الضوء على عظمة التشريع، وأنه يشتمل على الأمر بما فيه مصلحة البشر، والنهي عمّا فيه مضرتهم، ومن طبيعة الناس أن يكون قبولهم وحماستهم لما يفهمون سببه وعلته أكثر وأدوم من قبول ما لا يفهمون علته، ولا يدركون حكمته.
الكلمات المفتاحية: فقه ، الدعوة ،سورة لقمان ، الداعي ، المدعو.

Fiqh of Dawah in Surat Luqman

Majid bin Abdullah bin Ibrahim Al- Basis
Department of Da'wa, Higher Institute of Advocacy and Accounting, Imam Mohammed Bin Saud Islamic University in Riyadh
Email: Mab2615@gmail.com

Abstract:
This research aims at contemplating the Fiqh of Dawah in some ayahs of Surat Luqman. This research tackled the definition of Surat and Luqman, investigation of the Fiqh of Dawah related to the caller in the light of Surat Luqman, shedding light on the Fiqh of Dawah related to those who are called via Surat Luqman, indicating the Fiqh of Dawah related to Dawah topics in the light of Surat Luqman, presentation of the Fiqh of Dawah related to the methods and ways of Dawah in Surat Luqman.
The most important results of the topic are as follows:
The Nobel Surah included many Dawah benefits which help learn the Fiqh of Dawah and its application. Sincerity is the spirit of Dawah and the first motive of caller to achieve the aims and targets of Dawah. Enjoining the truthfulness of Oneness of Allah and abstaining from all types of Shirk (polytheism) are the basis of the call of Prophets and Messengers. The callers must take them into account when practicing the Dawah work on the basis of their religious rank. Obeying other than Allah, the Exalted, is based on obeying Allah. To fear Allah, the Exalted, and feel being seen and watched by Allah is one of the basics of making progress in Dawah by the caller. It makes one closer to Allah and makes one accepted by the society, so his Dawah has effects by the assistance of Allah, the Exalted, on those who are called. Enduring what inflicted the caller during Dawah is based on the Fiqh of Dawah extracted from the sermons of Luqman Al-Hakim. One of causes leading to the success of the caller is to be highly interested in guiding those who are called whatever the time and effort exerted. Humbleness and lowering one's wing are reasons for accepting the caller and Dawah by those who are called, and they are factors for rooting love for the caller in the hearts of those who are called and getting high rank in their view. The necessity to raise children based on faith rooting the true belief in them, compliance with the noble Sharia rules and having good manners is based on the Fiqh of Dawah related to those who are called. Cheerfulness and smiling anywise is one of the reasons for successful Dawah. Additionally, learning to adjust the voice level as the case may be and as possible as the addressee can hear, neither too high to disturb nor too low to be unheard, is related to the Fiqh of Dawah. Gradual practicing in the Dawah work through putting first things first by the caller is related to the Fiqh of Dawah. Giving examples is one of the methods having effect on the success of to the Dawah. Stating the reasons for Sharia rulings and shedding light on the grandeur of legislation and that it includes enjoining anything for the good of humans and abstaining from their harm help the caller to convince those who are called. People naturally accept and approve what they understand its reasons more than what they do not understand its reason or grasp its wisdom.
Keywords: Fiqh, Da'wa, Sura Luqman, Da'i.

المقدمة

الحمد لله العليّ العظيم القائل في كتابه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١]، والقائل أيضًا: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٢]. أما بعد فالدعاة إلى الله تعالى هم ورثة الأنبياء والرسل في حمل أمانة الدعوة إلى الله تعالى، وأهم ما يعين الدعاة على أداء هذه الأمانة والقيام بها على خير وجه هو الاستفادة من فقه الدعوة المستنبط من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة؛ ولذا استعنت بالله تعالى في إلقاء الضوء على فقه الدعوة الإسلامية من خلال تدبر ما يتعلق به من آيات تناولت موعظة لقمان الحكيم لابنه في سورة لقمان على قدر الاستطاعة، وأسأل الله التوفيق والسداد.

وأبدأ بذكر:

أهمية موضوع الدراسة:

١ – كونه في جانب مهم من جوانب الدعوة إلى الله تعالى، وهو فقه الدعوة.

٢– كونه متعلقًا بالقرآن الكريم، المصدر الأول للعقيدة والشريعة.

٣– اشتماله على ركائز نجاح العمل الدعوي من خلال تدبر بعض آيات السورة الكريمة.

أسباب اختيار موضوع الدراسة:

١. اشتمال سورة لقمان على مواعظ ووصايا دعوية.

٢. اشتمال سورة لقمان على أسس الدعوة إلى الله وقواعدها العظام.

٣. تركيز سورة لقمان على موضوعات دعوية متعددة مثل: منع الشرك، والبر بالوالدين، ومراقبة الله، والصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وآداب التخاطب، والسير.

---

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) سورة يوسف: ١٠٨.

أهداف الدراسة:

١. التعريف بالسورة وبلقمان.

٢. استنباط فقه الدعوة المتعلق بالداعي في ضوء سورة لقمان.

٣. إلقاء الضوء على فقه الدعوة المتعلق بالمَدْعُوّ من خلال سورة لقمان.

٤. بيان فقه الدعوة المتعلق بموضوعات الدعوة في ضوء سورة لقمان.

٥. عرض فقه الدعوة المتعلق بوسائل الدعوة وأساليبها في ضوء سورة لقمان.

أسئلة الدراسة:

١. من لقمان الحكيم؟

٢. ما الفقه الدعوي المتعلق بالداعي في سورة لقمان؟

٣. ما الفقه الدعوي المتعلق بالمَدْعُوّ في سورة لقمان؟

٤. ما الفقه الدعوي المتعلق بالموضوعات الدعوية في سورة لقمان؟

٥. ما الفقه الدعوي المتعلق بوسائل الدعوة وأساليبها في سورة لقمان؟

تقسيم الدراسة:

المقدمة: وتشتمل على بيان أهمية موضوع الدراسة، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة، وأسئلة الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بالسورة وبلقمان.

المبحث الثاني: فقه الدعوة المتعلق بالداعي في ضوء سورة لقمان.

المبحث الثالث: فقه الدعوة المتعلق بالمَدْعُوّ في ضوء سورة لقمان.

المبحث الرابع: فقه الدعوة المتعلق بموضوعات الدعوة في ضوء سورة لقمان.

المبحث الخامس: فقه الدعوة المتعلق بوسائل الدعوة وأساليبها في ضوء سورة لقمان.

المبحث الأول: التعريف بالسورة وبلقمان الحكيم:

أولًا: التعريف بسورة لقمان:

سورة لقمان من السور المكية على قول الأكثرين، واشتملت السورة على أربع وثلاثين آية، اختلف في بعض آياتها إذ قيل إنها نزلت في المدينة، وسأعرض الآيات المختلف في كون نزولها في المدينة، على النحو الآتي:

-القول الأول: سورة لقمان مكية، غير آيتين قال بـه قتـادة[١]، وعطـاء[٢]، والآيتان همـا: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[٣].

-القول الثاني: سورة لقمان مكية، غير ثلاث آيات، قال به ابـن عبـاس -رضي الله عنهما-، والثلاث الآيـات هـي: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٤].[٥]

-القول الثالث: سورة لقمـان مكيـة، إلا آيـة نزلـت بالمدينـة، وهـي: ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[٦] روى عن الحسـن، وقال لأن الصلاة والزكاة مدنيتان.[١]

---

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن الأندلسي، ت: عبدالسلام عبدالشافي محمد، ٣٤٥/٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ٥٠/١٤، دار الكتب المصرية، ط: ٢، ١٩٦٤م.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: عبدالرزاق المهدي، ٤٣٠/٣-٤٣١، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٣) سورة لقمان:

(٤) سورة لقمان: ٢٧-٢٩.

(٥) انظر: المحرر الوجيز ، ابن عطية، ٣٤٥/٤ـ والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥٠/١٤.

(٦) سورة لقمان: ٤.

وسُمّيت السورة بسورة لقمان لما اشتملت عليه من وعظه فيها، وجاء ثناء الله عليه بالحكيم في الآية الثانية عشرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[٢] وبدأ وعظ لقمان في الآية الثالثة عشرة، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾[٣] ثم استأنف الله بخبر عن الوالدين في الآية الرابعة عشرة والخامسة عشرة، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤] وأكمل وعظ لقمان في أربع آيات من الآية السادسة عشرة، إلى الآية التاسعة عشرة.

وسيقتصر البحث في هذه الدراسة على ثماني آيات من السورة الكريمة، من الآية الثانية عشرة، إلى الآية التاسعة عشرة؛ لاشتمالها على مواعظ لقمان الحكيم لابنه. ووصايا نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم؛ ليمتثلها الناس ويقتدوا بها.[٥] وأصول الحكمة وقواعدها الكبار.[٦] فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا، أن يكون مخصوصًا بالحكمة، مشهورًا بها، ولهذا من منة الله

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٣/٤٣٠-٣١.

(٢) سورة لقمان: ١٢.

(٣) سورة لقمان١٣.

(٤) سورة لقمان: ١٤-١٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: سامي محمد سلامة، ٦/٣٣٧، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٩٩٩م.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبدالرحمن ابن معلا اللويحق، ص٦٤٨، مؤسسة الرسالة، طبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

عليه وعلى سائر عباده أن قصَّ عليهم من حكمته ما يكون لهم بـــه أســـوة حسنة.[١]

ثانيًا: اسم لقمان الحكيم:

قال البغوي: قال محمد بن إسحاق: هو لقمان بن ناعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر، وقال وهب: إنه كان ابن أخت أيوب، وقال مقاتل: ذكر أنه كان ابن خالة أيوب.[٢]

قال الزمخشري: هو لقمان بن باعورا.[٣]

قال القرطبي: وهو لقمان بن باعوراء ابن ناحور بن تارح.[٤]

قال الخازن: هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ.[٥]

قال ابن كثير: لقمان بن عنقاء بن سدون.[٦]

ونلحظ اختلافًا في اسمه، والذي يعنينا ما سمَّاه الله به في محكـــم التنزيـــل، وهو لقمان.

ثالثًا: القول في نبوة لقمان:

واختلف في نبوته على قولين: القول الأول: أنه نبي، والقول الثاني: أنه غير نبي، وسأذكر القائلين بكل قول:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي، ص٦٤٨.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر- عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، ٥٨٧/٣، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـــ - ١٩٩٧م.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ٤٩٢/٣، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ه.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٥٩/١٤.

(٥) تفسير الخازن المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ٢١٥/٥، دار النشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٣٩٩ هـــ /١٩٧٩ م.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٣٦/٦.

القائلون بالقول الأول: أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًّا، سعيد بن المسيب، ومجاهد، وقتادة.

القائلون بالقول الثاني: أنه كان نبيًّا، قاله الشعبي، وعكرمة، والسدي، هكذا حكاه عنهم الواحدي، ولا يعرف، إلا أن هذا مما انفرد به عكرمة، والقول الأول أصح.(١)

ولم يقل بنبوته إلا عكرمة فقط، مع أن الراوي لذلك عنه جابر الجعفي، وهو ضعيف جدًّا.(٢)

وقد نقل ابن كثير رأي جمهور السلف أنه لم يكن نبيًّا، وإنما ينقل كونه نبيًّا عن عكرمة -إن صح السند إليه، فإنه رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة فقال: كان لقمان نبيًّا، وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف، والله أعلم.(٣)

المبحث الثاني: فقه الدعوة المتعلق بالداعي في ضوء سورة لقمان

سورة لقمان من السور التي جاء في معرض آياتها التأكيد على الأخذ بالمنهج الدعوي الذي يرسم للدعاة طريقهم، وينير دربهم ليدعوا إلى دين ربهم على وفْق ما شرع لهم ربهم في كتابه، وعلى إثر ذلك سأبين الفقه الدعوي في السورة على وفْق المنهج الدعوي القويم، ومما ذكر في السورة من دلائل دعوية ومنهج قويم، إبراز أهمية الإخلاص في حياة الداعية، وألا يُطَاع مخلوق في معصية الخالق، وأهمية العلم، وأهمية شكر أصحاب الفضل والمنة -وأولى من يُشْكر الله -عَزَّ وجَلَّ- والوالدان-، أهمية الاقتداء، وأهمية مراقبة الله، والصبر في سبيل الدعوة وما يواجه من عقبات ومحن، وأهمية الحرص على هداية المَدْعُوّ، وأهمية التواضع، وأهمية تجرد الداعية من المنافع الشخصية، وسأفرد كل ما ذكر بعنوان مخصوص به أبين فيه

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٤٢٩/٣، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٣٤٧/٤.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٢٧٣/٤، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٣٣/٦-٣٣٤.

موضع ذكره في السورة الكريمة، ثم أبرز أهميته بقدر الإمكان من الكتاب والسنة وأقوال العلماء.

أولًا: أهمية الإخلاص في حياة الداعية:

إن المتأمل في السورة يجد أن أول مواعظ لقمان وحِكَمه التي وجه إليها مسألة الأمر بإخلاص العبادة لله، والنهي عن الإشراك بالله فيما يتقرب به إلى الله، فقال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1] فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له السبب ووجه كونه عظيمًا، أنه لا أفظع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب.[2]

كما بين لقمان لابنه أن الإخلاص وعدم الإشراك من المسائل الحتمية على كل إنسان، فلو كان الوالدان مشركَينِ على غير دين ابنهما فلا يطاعا في حرصهم على رجوع ابنهما إلى دينهما مع أن الوالدين لهما الفضل بعد الله في الوجود والرعاية والتربية، لكن لا يطاعا فيما أرادا تأكيدًا على مسألة الإخلاص وعدم الإشراك بالله، وهذا يدل على أن من سواهما لا يطاع من باب أولى في النهي على ذلك، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾[3]

ولذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يجعلوا نصب أعينهم في الدعوة إلى الله مسألة الإخلاص وعدم الإشراك بالله، فبعدم إخلاص العبادة لله يُحبِط الله عمل العامل، فقد قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[4] وكثير ما يؤكد الله في كتابه على مسألة الإخلاص، فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ

---

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، ص٦٤٨.

(٣) سورة لقمان: ١٥.

(٤) سورة الأنعام: ٨٨.

اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾[١] وقال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[٢] كما أكدت السنة النبوية على هذه مسألة الإخلاص، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».[٣] وقد قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على المنبر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه.[٤]

والأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسط عمل القلب، فإن القلب ملك، والأعضاء جنوده. فإذا خبث الملك خبثت جنوده. فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدًا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض. وليس كل من نحَّى غصن شوك عن الطريق يغفر له.[٥]

---

(١) سورة الزمر: ١١.

(٢) سورة البينة: ٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، (٢٩٨٥)، ٢٩٨٥/٤، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، (١)، ٢/١، الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الناشر: دار الشعب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ ه - ١٩٨٧م.

(٥) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد رشاد سالم، ٢٢٢/٦، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

وبهذا يتضح أن الدلائل والمنهج الدعوي من وعظ لقمان وما أكدته النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية أن الدعوة إلى الله قائمة على الإخلاص، ولا يقبل عمل عامل إلا به.

ثانيًا: ألَّا يطاع مخلوق في معصية الخالق:

نجد أن لقمان الحكيم وعظ ابنه وأمره بطاعة الله سبحانه، ونهاه عن طاعة من يأمر بمعصيته، فقال الله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾[1] وإن جاهدك -أيها الإنسان- والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري، مما لا تعلم أنه لي شريك، -ولا شريك له تعالى ذكره علوًّا كبيرًا-، فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي.[2] وأكد الله في كتابه على مسألة أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وبين من تجب طاعتهم، فقال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[3] وأولو الأمر الذين تجب طاعتهم العلماء والأمراء، وقد أكد صلى الله عليه وسلم في موعظة بليغة على أهمية طاعة أولي الأمر، حيث جاء في حديث العرباض بن سارية -رضي الله عنه- أنه قال: فوعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعظتنا موعظة مودع، فاعهد إلينا بعهد، فقال: «عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًّا، وسترون من بعدي اختلافًا شديدًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فان

---

(١) سورة لقمان: ١٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ١٣٩/٢٠، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

كل بدعة ضلالة»[١]. فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة لأمر الله بطاعتهم؛ فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله. ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعوه عصاهم فما له في الآخرة من خلاق.

واتفق العلماء: أن حكم الحاكم العادل إذا خالف نصًّا أو إجماعًا لم يعلمه فهو منقوض.

وما حث عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر به في هذا الحديث أن الطاعة مشروطة بطاعة الله ورسوله، وما خالف ذلك فلا طاعة فيه، فعن أبي عبدالرحمن عن علي قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلًا من الأنصار، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء؛ فقال: اجمعوا لي حطبًا، فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا نارًا فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار، فكانوا كذلك، وسكن غضبه وطفئت النار، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال «لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف) [٢] وعن عبد الله -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع، ولا طاعة.[٣]

---

(١) سنن الترمذي، كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، (٤٢)، قال الألباني: صحيح، سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار الفكر - بيروت.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية الله، (١٨٤٠)، ١٤٦٩/٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، (٧١٤٤)، ٧٨/٩.

مما سبق يتضح أن لقمان الحكيم قد بيّن أهمية طاعة الوالدين ما لم يأمرا بمعصية الله، وما أكدت عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على وجوب الطاعة في غير معصية الله ممن تجب طاعتهم، وبهذا يتأكد للدعاة إلى الله المنهج الدعوي في مسألة الطاعة: لمن تكون وفي أي نطاق يطاع؟.

ثالثًا: أهمية العلم في الدعوة إلى الله:

أخبر الله عن امتنانه على لقمان الحكيم أن وهب له الحكمة وهي العلم بالأحكام، والعلم أساس الدعوة إلى الله؛ فبدونه لا يعرف الطريق إليه، فقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[1]. يخبر تعالى عن امتنانه على عبده الفاضل لقمان، بالحكمة، وهي العلم بالحق على وجهه وحكمته، فهي العلم بالأحكام، ومعرفة ما فيها من الأسرار والإحكام، فقد يكون الإنسان عالمًا، ولا يكون حكيمًا، وأما الحكمة، فهي مستلزمة للعلم، بل وللعمل، ولهذا فسرت الحكمة بالعلم النافع، والعمل الصالح.[2] كما جاء في السورة أن العقل السوي يرشد إلى وحدانية الله سبحانه، فقال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[3]. فأحال سبحانه في اتباع الأدلة إلى حكم ما وهب من العقل عدلًا وإنصافًا، إشارة إلى أنه لا يمكن أن يدل علم من أنواع العلوم على شيء من الشرك بنوع من أنواع الدلالات، بل العلوم كلها دالة على الوحدانية على الوجه الذي تطابقت عليه العقول، وتظافرت عليه من الأنبياء والرسل النقول.[4]

وقد أبرز الله في القرآن الكريم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم في سنة أهمية العلم وفضل أهله وبركته، وضرر عدم تعلمه، فقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ

---

(١) سورة لقمان: ١٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي، ص٦٤٨.

(٣) سورة لقمان: ١٥.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ١٦٨/١٥، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

﴿يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[١] ومن أعطي العلم فقد أعطي خيرًا كثيرًا، قال سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٢] وقد قرن الله اسمه بخلقه من العلماء، فقالله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾[٣] في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء.[٤]

كما حث النبي –صلى الله عليه وسلم– على العلم ورغب فيه، ويتأكد ذلك في حق من يدعون إلى الله، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له به طريقًا إلى الجنة»[٥].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «وستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم، عليكم بالعلم وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق».[٦]

وينبغ لطالب العلم أن يكون مواظبًا على الاشتغال بالعلم فإن الترك مضر، ولو قل، فإذا ترك الطالب الاشتغال يومًا كأنه ترك سَنَة، وإن تركه يومين

---

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٣) سورة آل عمران: ١٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤١/٤.

(٥) المسند، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (٨٣١٦)، ٦٦/١٤، وقال المحققون: إسناده صحيح على شرط الشيخين، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، الناشر: مؤسسة الرسالة.

(٦) البدع والنهي عنها، محمد بن وضّاح القرطبي ، المحقق: محمد أحمد دهمان، ص٣٢، دار النشر: دار الصفا، القاهرة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

كأنه ترك سنتين، وإن تركه ثلاثا لا يجيء منه شيء، فينبغي لطالب العلم أن يكون عمله في علمه مثل الملح في العجين إن عدم منه لم ينتفع به، والقليل منه يصلحه.[١]

مما سبق يتبين امتنان الله على عبده لقمان الحكيم بالعلم الذي هو مرتكز منهج الدعوة إلى الله، كما تضافرت النصوص الشرعية على بيان أهميته وفضل أهله ومزيتهم عن غيرهم من الخلق، وقد حذر الله في كتابه من الدعوة بدون علم فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[٢]

رابعًا: أهمية الشكر في حياة الداعية:

إن المتأمل في السورة يجد أن الله وهب للقمان الحكمة، وذكره الله في كتابه، وسمى الله سورة باسمه، فهي نعمة تستحق الشكر، فأمره الله بالشكر على هذه النعمة، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٣]. ولما أعطاه الله هذه المنة العظيمة، أمره أن يشكره على ما أعطاه، ليبارك له فيه، وليزيده من فضله، وأخبره أن شكر الشاكرين، يعود نفعه عليهم، وأن من كفر فلم يشكر الله، عاد وبال ذلك عليه. والله غني عنه، حميد فيما يقدره ويقضيه.[٤]

كما كرر الله في السورة وأكد أهمية شكر الله وشكر الوالدين على كريم صنعهما من رعاية وتربية، فقال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[٥].

---

(١) انظر: المدخل، محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، ١٤٤/٢، الناشر: دار التراث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٢) سورة النحل: ١١٦.

(٣) سورة لقمان: ١٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي، ص٦٤٨.

(٥) سورة لقمان: ١٤.

فالشكر منهج الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾[١]، وقال الله -تعالى- عن آل داوود: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[٢]، وقال سبحانه عن سليمان عليه السلام: ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[٣]، تزداد نعمه كلما ازداد شكرًا.[٤] وبالشكر تزيد النعم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[٥]، وشكر الخالق علامة على الإيمان ودلالة عليه، قال سبحانه: ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٦]

كما بين نبينا صلى الله عليه وسلم أن شكر الناس بعضهم لبعض على أمر يستحق الشكر علامة على شكر الإنسان لربه، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[٧].

فالشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة، والشكر مبني على خمس قواعد خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه

---

(١) سورة النحل: ١٢١.

(٢) سورة سبأ: ١٣.

(٣) سورة النمل: ٤٠.

(٤) تفسير القرآن، عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، المحقق: الدكتور عبدالله بن إبراهيم الوهبي، ٥٣٨/٢، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٥) سورة إبراهيم: ٧.

(٦) سورة البقرة: ١٧٢.

(٧) المسند، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، إسناده صحيح على شرط المسلم، (٧٩٣٩)، ٣٢٢/١٣ .

بها، وأن لا يستعملها فيما يكره، فهذه الخمس هي أساس الشكر، وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة: اختل من قواعد الشكر قاعدة.[١]

ويتضح أن الشكر في سورة لقمان جاء في جملة فعلية، وقد قال النحويون: إن الجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث، ولذا يتضح أن الدلائل والمنهج الدعوي في الشكر من خلال سورة لقمان، أن الشكر يتجدد بتجدد النعم على الإنسان، ويتأكد الشكر ويتعاظم من عظم المعطي وأعظم النعم نعمة العلم، ولذا ينبغي للدعاة إلى الله ممن حظي بعلم وفقه ودراية بعلوم الشريعة وفنونها أن يسعى لزكاة ما تعلمه، فيبصر المَدْعُوّين بأمور دينهم، وأن لا يغيب عنه شكر خالقه دوما في أي وقت وعلى أي حال، فبالشكر تزيد النعم، كما ينبغي للدعاة إلى الله تذكير المَدْعُوّين بأهمية الشكر سواء لخالقهم، أو والديهم، أو كل من أسدى معروفًا.

خامسًا: أهمية الاقتداء في حياة الداعية:

جاء الأمر بالاقتداء في سورة لقمان واتباع سبيل الله وسلوك مسلك الهدي القويم، والاقتداء بسبيل الله منهج دعوي مستقيم لا يضل من اقتفى أثره واستن بهديه، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[٢] اسلك طريق من تاب من شركه، ورجع إلى الإسلام، واتبع محمدًا صلى الله عليه وسلم.[٣] ودين من أقبل إلى طاعتي، وهذه سبيل الأنبياء والصالحين.[٤] وفي هذا حث على معرفة الرجال بالحق، وأمر بحك المشايخ وغيرهم على محك الكتاب

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ٢/٢٣٤، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

(٢) سورة لقمان: ١٥.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ٢٠/١٣٩.

(٤) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٦/٢٨٨، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٤/٣٤٩.

والسنة، فمن كان عمله موافقًا لها اتبع، ومن كان عمله مخالفًا لهما اجتنب.[١]

وأكد الله سبحانه في أكثر من آية من كتابه على اتباع سبيل الله وعدم السير خلف الشعارات والأسماء البراقة التي تدعي الإسلام وهي منه براء، فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢] وأمر الله بتباع الرسل والإقتداء بهم، فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[٣] أيها المؤمنون اقتدوا وتأسوا بأبي الأنبياء وممن كانوا قبله من الأنبياء عليهم السلام.[٤] كما ذكر الله وجوب الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، قال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥]

وجاءت السنة النبوية مؤكدة اتباع سبيل الله والاقتداء بمن سار على منهاجه، فعن العرباض بن سارية يقول: قام فينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقيل: يا رسول الله، وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد. فقال: "عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًّا، وسترون من بعدي اختلافًا شديدًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة"[٦] وعن عبد الله بن مسعود، قال: خطَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًّا، ثم قال: " هذا سبيل الله "، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: " هذه سبل

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٥/١٦٩-١٧٠.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٣) سورة الممتحنة: ٤.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٩/٤٩٦.

(٥) سورة الأحزاب: ٢١.

(٦) سنن ابن ماجه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، (٤٢)، ١/٢٨، قال الألباني: حديث صحيح.

– قال يزيد: متفرقة – على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه"[١]. وقد كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون نحو خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت.[٢]

وبهذا يتبين أن دلائل الدعوة في سورة لقمان ووعظه مبناها على الاقتداء بالأنبياء والرسل وصالح سلف الأمة، ممن عرف سلامة منهجهم.

سادسًا: استشعار الداعية مراقبة الله:

إن المتأمل في وصايا لقمان الحكيم يجد أن مراقبة الله حاضرة فيها، فمراقبة الداعية لربه في سرائره وأقواله وأفعاله وسكناته وحركاته، تصلح حياته مع الله، ويسعد بها في دنياه وآخرته، وتجعله يؤدى الواجبات والحقوق بأحسن حال وأفضلها، وبهذا ينضبط منهج الدعوة إلى الله، فقد قال الله تعالى على لسان لقمان الحكيم مبرزًا إحاطة الله بالعبد: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾[٣].

والمقصود من هذا الحث على مراقبة الله، والعمل بطاعته، مهما أمكن، والترهيب من عمل القبيح، قَلَّ أو كَثُرَ.[٤]

وجاء التأكيد على مراقبة الله للعبد في آيات عديدة من كتابه، ويتأكد في حق الداعية إلى الله، قال سبحانه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ ﴾[٥] وتوعدهم على ما يقع في ضمائرهم من شر، وأرشدهم إلى إضمار الخير دون الشر، ثم لم يؤيسهم من رحمته، ولم يقنطهم من عائدته.[٦] وبيَّن الله

---

(١) المسند، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (٤١٤٢)، ٢٠٧/٧-٢٠٨، إسناده حسن .

(٢) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ٣١٦/١١، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٣) سورة لقمان: ١٦.

(٤) تيسير الكريم ، السعدي، ص٦٤٨.

(٥) سورة البقرة: ٢٣٥.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٦٤١/١.

سبحانه مراقبة الله لعباده في أقوالهم، فقال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[١] ما يتكلم من كلام، فيلفظه ويرميه من فيه إلا لديه ملك يرقب قوله ويكتبه من خير وشر، فكاتب الخير هو ملك اليمين، وكاتب الشر ملك الشمال.[٢] كما حذر الله سبحانه العبد على إحاطة الله بأفعال العباد، فقال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[٣] ولا تعملون أيّ عمل، خيرًا كان أو شرًّا، شكرًا كان أو كفرًا، وإن كان كمثقال الذرة، إلا كنا رقباء عليكم إذ تخوضون فيه، فنحفظه عليكم ونجازيكم به.[٤]

وجاء التأكيد على مراقبة الله في السنة النبوية وعلى غرس ذلك في نفوس الناشئة وتعويدهم عليه، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: كنت ردف النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال لي: " يا غلام، إني محدثك حديثًا، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجَاهك، إذا سألت، فاسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله، فقد رفعت الأقلام، وجفت الكتب، فلو جاءت الأمة ينفعونك بشيء لم يكتبه الله -عز وجل- لك، لما استطاعت، ولو أرادت أن تضرك بشيء لم يكتبه الله لك، ما استطاعت "[٥]

ذكر أبو نعيم عن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء قال ليحذر امرؤ أن تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر ثم قال أتدري مم هذا؟ قلت لا قال إن

---

(١) سورة ق: ١٨.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٨٩/٥.

(٣) سورة يونس: ٦١.

(٤) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ١٢٨/١١، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

(٥) المسند، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (٢٧٦٣)، ٤٨٧/٤، حديث صحيح.

العبد يخلو بمعاصي الله فيلقى الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر.[١]

وبهذا يتبين أن من دلائل ومنهج الدعوة أن يستلزم استشعار الداعية مراقبة الله في جميع أحواله؛ ولذا يستلزم أن يجعل نصب عينيه حديث جبريل عليه السلام الطويل، حين سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان، فقال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.[٢]

سابعًا: أهمية الصبر في سبيل الدعوة:

إن طريق الأنبياء والمرسلين ومنهجهم في دعوتهم لأقوامهم قائم على الصبر والمصابرة، فمن أراد أن يحذوا منهجهم ويستنَّ بسنتهم في الدعوة إلى الله فعليه أن يوطن نفسه على ما سيواجهه من عقبات وعراقيل في أداء هذا الواجب، ولذا رسم لقمان الحكيم طريق الدعوة حين أوصى ابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنَّ هذه الشعيرة ضرب من ضروب الدعوة إلى الله، فقال سبحانه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[٣] تنبيه على أن من قام لله بحق امتحن في الله فسبيله أن يصبر لله- فإن من صبر لله لا يخسر على الله.[٤] وصارت هذه الآية بيانًا لهذه الأمة، وإذنًا لهم أن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ص٣٤، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب سؤال جبريل النبي: عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي صلى الله عليه وسلم له، (٥٠)، ١٩/١، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (١)، ٣٦/١.

(٣) سورة لقمان: ١٧.

(٤) لطائف الإشارات، عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، ١٣٢/٣، الطبعة: الثالثة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

ينبغي أن يصبر على ما يصيبه في ذلك، إذا كان أمره ونهيه لوجه الله تعالى، لأنه قد أصاب ذلك في ذات الله عز وجل.[١]

والمتتبع لمنهج الأنبياء والمرسلين يجد صبرهم ومكابدتهم على الدعوة لدين الله من الأمور الظاهرة، فنوح عليه السلام دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا كلها في دعوة قومه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[٢]. روي أنه بعث على رأس الأربعين ودعا قومًا تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين.[٣]

وألقي إبراهيم عليه السلام في النار فصبر، قال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[٤]، وأمر الله نبيه بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فقال سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[٥]، وقضى الله بالخسران على الإنسان ما لم يتصف بأربع صفات ترفع عنه وصف الخسران ومن ضمن الأوصاف الصبر على الدعوة وما يواجهه الداعي في سبيل دعوة الناس للهدى، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[٦]. إ شارة إلى أن طريق الإيمان، والاستقامة على شريعته ليس أمرًا هينًا، فإن ذلك إنما يحتاج إلى معاناة

---

(١) بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ٢٦/٣.

(٢) سورة العنكبوت: ١٤.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، ١٩٠/٤، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى– ١٤١٨هـ.

(٤) سورة الأنبياء: ٦٦-٦٩.

(٥) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٦) سورة العصر: ٢-٣.

وصبر على مغالبة الشهوات، وقهر دواعي الأهواء، ووساوس الشيطان فطريق الحق طريق محفوف بالمكاره، والصبر هو زاد الذين يسلكون طريقه، ويبلغون به غايات الفوز والفلاح.[١]

فينبغي للدعاة إلى الله أن يمتثلوا منهج الدعوة القويم في الصبر على دعوتهم للمدعوين، وأن يوطنوا أنفسهم في سبيل هدايتهم للحق والهدى.

ثامنًا: أهمية الحرص على هداية المَدْعُوّ:

إن المتأمل في وصف الله لوعظ لقمان يجد أن الوصف جاء بجملة فعلية، قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾[٢] والنحويون يقولون: إن الجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث، وبهذا يؤكد أن لقمان كان يعظ ابنه تكرارًا ومرارًا. فتأديب الولد، بسوق الكلام على وجه يدل على تكرير وعظه بما ينفعه ويرقق قلبه ويهذب نفسه، ويوجب له الخشية والعدل.[٣]

وهذا منهج دعوي سار عليه الأنبياء والمرسلون، فنوح عليه السلام دعا قومه مائة ألف إلا خمسين عاما، ليلا ونهارا، قال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾[٤] ووصف الله نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام بالحرص على أمته، فقال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥] وقال سبحانه: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾[٦] فلا تغتمّ بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا.[٧] علمًا

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبدالكَريم يونس الخطيب، ١٦٦٩/١٦، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

(٢) سورة لقمان: ١٣.

(٣) نظم الدرر ، البقاعي، ١٦١/١٥.

(٤) سورة نوح: ٥.

(٥) سورة التوبة: ١٢٨.

(٦) سورة فاطر: ٨.

(٧) اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض،

بأن مهمَّات الأنبياء والرسل البلاغ، قال -عَزَّ وجلَّ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] قال تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾[2] إن حرص النبي – صلى الله عليه وسلم – على إسلام قومه لا يهدي من سبق في علم الله أنه شقي.[3] ومما جاء في السنة ما يؤكد حرص النبي صلى الله عليه وسلم، فعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي"[4].

إن للمتسبب في الهدى بدعوته إليه مثل أجر من اهتدى به، وللمتسبب في الضلالة بدعوته إليها مثل إثم من ضل به، لأن هذا بذل قدرته في هداية الناس، وهذا بذل قدرته في إضلالهم، فنزل كل واحد منهما بمنزلة الفاعل التام، وهذه قاعدة الشريعة.[5]

ومما سبق يتضح ما كرَّره لقمان من وعظه لابنه، وبيان ما في الآيات القرآنية من حرص الأنبياء -عليهم السلام- على دعوة أقوامهم، وما وصف الله به نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- من حرص على هداية قومه لدلالة على أن أحد أسس منهج الدعوة القيم الحرص على هداية الخلق.

١٠٦/١٦، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) سورة المائدة: ٩٩.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، ٣٧٥/٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥مـ.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته، (٢٢٨٥)، ١٧٩٠/٤.

(٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، ٦٢/١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

تاسعًا: أهمية التواضع في الدعوة:

إن لقمان الحكيم بيّن لابنه منهج الدعوة في امتثال التواضع ليقبل الناس على ما تدعو إليه، فنجد أن لقمان حين بيَّن المنهج الدعوي في التواضع، حذره في بادئ الأمر من أمرين وأمره بأمرين، فقال سبحانه عن تحذير لقمان الحكيم: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[١] ولا تعرض بوجهك عمن كلّمته تكبرًا واستحقارًا لمن تكلمه من الناس.[٢] لا تمشِ خيلاء متبخترًا على الناس.[٣] وأمره بأمرين فقال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[٤] و ليكن مشيُك قصدًا، لا تخيُّلًا ولا إسراعًا، قال عطاء: امشِ بالوقار والسَّكينة.[٥] ولما كان النهي عن ذلك أمرًا بأضداده، وكان الأمر بإطلاق الوجه يلزم منه الإنصاف في الكلام، وكان الإنصاف في الكلام والمشي لا على طريق المرح والفخر، وأمر بتوسط لا إفراط ولا تفريط.[٦]

وقد وردت نصوص من القرآن الكريم تأمر بامتثال منهج الدعوة في التواضع، قال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٧] وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[٨] كما أكد النبي صلى الله عليه وسلم على هذا المنهج القويم: "إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على

---

(١) سورة لقمان: ١٨.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٤٣/٢٠.

(٣) انظر: تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص٥٤٢، الناشر: دار الحديث - القاهرة.

(٤) سورة لقمان: ١٩.

(٥) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ١٠٨/٥.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٧٨/١٥.

(٧) سورة الحجر: ٨٨.

(٨) سورة المائدة: ٥٤.

أحد"[١] وعن أبي هريرة: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[٢]. فيه وجهان أحدهما يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه، والثاني أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه.[٣]

والتواضع مصلحة الدين والدنيا؛ فإن الناس لو استعملوه في الدنيا لزالت بينهم الشحناء ولاستراحوا من تعب المباهاة والمفاخرة.[٤]

وبهذا يتبين أن الدعوة قائمة على التواصل مع المَدْعُوّين ونصحهم ووعظهم فإذا اتصف بصفات تدعو للتكبر والاستعلاء على المَدْعُوّين فلن يستجيب المَدْعُوّ من الداعية الذي يكون هذا حاله، ولذا ينبغي للدعاة سلوك منهج الدعوة القويم.

عاشرًا: تجرد الداعية من المصالح الشخصية:

إن المتأمل في وعظ لقمان الحكيم لابنه يجد أن لقمان بدأ بالنهي عن الشرك، ثم جاءت وصية الله بالبر بالوالدين والإحسان إليهما وإن كانا غير مسلمين. فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله، وفيه هذا المعنى، فذلك وجه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا، (٢٨٦٥)، ٢١٩٧/٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، (٢٥٨٨)، ٢٠٠١/٤.

(٣) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ٢٠٠١/٤، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ٣٤١/١١، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته[١]. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ ﴾[٢]. فيتبين أن الآيتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة خبر مستأنف من الله، لبيان حق الوالدين، ودلالة ذلك قطع ما يظن أن لقمان أراد من وعظه لابنه في مسألة بيان حق الوالدين والإحسان لهما وشكرهما أراد نفسه، بل استأنف الله بخبر منه. ولأهميتها كرر الأنبياء والمرسلين وأكدوا أن دعواتهم لأقوامهم غايتها ليس المال، فقال سبحانه: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٣]. وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤]. وقال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٦]. وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[٧]. فإني لم أسألكم على ما دعوتكم إليه أجرًا، ولا عوضًا أعتاضه منكم بإجابتكم إياي إلى ما دعوتكم إليه من الحق والهدى، ولا طلبت منكم عليه ثوابًا ولا

---

(١) انظر: جامع البيان ، الطبري، ٢٠/١٣٩-١٤٠.

(٢) سورة لقمان: ١٣-١٦.

(٣) سورة يونس: ٧٢.

(٤) سورة يوسف: ١٠٤.

(٥) سورة الفرقان: ٥٧.

(٦) سورة سبأ: ٤٧.

(٧) سورة ص: ٨٦.

جزاءً، إن جزائي وأجر عملي وثوابه إلا على ربي، لا عليكم، أيها القوم، ولا على غيركم.[١]

فينبغي للدعاة إلى الله استشعار خطورة أن يراد بالمواعظ والنصائح مصالح شخصية، فالله استأنف بخبر عن الوالدين، لئلا يظن الابن جراء هذه المواعظ الإحسان إلى أبيه، مع أن طاعته واجبه، فكيف من لم تكن طاعته واجبه، ويرد بموعظته مصلحة شخصية.

المبحث الثالث: فقه الدعوة المتعلق بالمَدْعُوّ في ضوء سورة لقمان:

إن المَدْعُوّ أحد ركائز المنظومة الدعوية وأساسياته، فمعرفة معتقد المَدْعُوّ وأحواله وسماته من أساسيات نجاح الدعوة وتحقيق ثمارها المرجوة، ومما يبين ما في السورة أن الأبناء هم المستهدفون بالوعظ، فقد وجه لقمان الحكيم وعظه لابنه، وعند النظر في معتقد الأبناء في القرآن الكريم نجد أنهم على صنفين فمنهم المؤمنون، ومنهم الكفار.

أولًا: معتقد الأبناء ومدى استجابتهم للدعوة:

-أبناء مسلمون: قال الله -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[٢]

-أبناء كفار: قال سبحانه: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[٣]

-أبناء دعاة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾[٤]

-أبناء مدعون مستجيبون: قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[١]

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٥٢/١٥.

(٢) سورة البقرة: ١٣٢.

(٣) سورة هود: ٤٢.

(٤) سورة مريم: ٤٣.

-أبناء مدعون غير مستجيبين: قال تعالى: ﴿قَالَ سَآوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾[٢]

وللأبناء حقوق ينبغي للدعاة معرفتها لتنشئتهم التنشئة الإسلامية، حتى تألفها نفوسهم وتتعود عليه، وليحرص على وعظهم ونصحهم وليبين لهم هدي الإسلام، وليعلم أن أمر هداية التوفيق بيد الله قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾[٣] وليس بيده إلا هداية التوجيه والإرشاد، قال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[٤].

وهاهنا الذكر للترغيب، لأن وعظ الأب للابن يكون بطريق اللطف والوعد.[٥]

ثانيًا: حق التربية وتعليم الأولاد:

-حق التربية: إن من حقوق الأولاد على الوالدين حسن تربيتهم التربية الإسلامية وتنشئتهم وتعويدهم عليها ليألفوها ويستمروا عليها طَوَال حياتهم، وقد حث النبي صلى الله على مراعاة المسؤولية المنوطة بالوالدين تجاه أولادهم، فعن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته؛ فالإمام راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راعٍ...»[٦]. وأهم الأمور التي ينبغي للآباء تربية أولادهم عليها اتباع شرائع

---

(١) سورة الصافات: ١٠٢.

(٢) سورة هود: ٤٣.

(٣) سورة القصص: ٥٦.

(٤) سورة الشورى: ٥٢.

(٥) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ١١٩/٢٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ.

(٦) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه (٢٤٠٩)، ١٥٧/٣.

الدين وتعظيم شعائره. وعلى الأب تأديب ولده وتعليمه ما يحتاج إليه من وظائف الدين وهذا التعليم واجب على الأب وسائر الأولياء قبل بلوغ الصبي والصبية، نصَّ عليه الشافعي وأصحابه. قال الشافعي وأصحابه وعلى الأمهات أيضًا هذا التعليم إذا لم يكن أب لأنه من باب التربية.[١] كما تنبغي تربيتهم على الأخلاق الحميدة التي أمر الشرع بالتحلي والتخلق بها. وتعليمهم الفروض العينية وتأدبهم بالآداب الشرعية والعدل بينهم في العطية، سواء أكانت هبة أم هدية أم وقفًا أم تبرعًا.[٢]

-تعليمهم الصلاة: إن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وأهمها الصلوات الخمس المفروضة في اليوم والليلة، ولأهميتها وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- الآباء إلى تعويدهم عليها في مرحلة طفولتهم وقبل بلوغهم، فقد أمرنا أن نعودهم من سن السابعة وأن يضربوا عليها ضرب تعليم وتربية في سن العاشرة من أعمارهم، "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع "[٣]

-تعليمهم الصيام: ومما يؤكد على أهمية تربية الأولاد في الصغر أن الصحابة كانوا يعودونهم على الصيام، فعن الربيع بنت معوذ قالت أرسل النبي -صلى الله عليه وسلم- غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار من أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائمًا فليصم. قالت فكنا نصومه بعد

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ٤٤/٨، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المَدْعُوّ بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ٥٧٤/٢، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

(٣) سنن أبو داوود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، (٤٩٥)، ١٨٧/١.

ونصوّم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار.[١]

-تعليمهم الحج: وقد ورد على الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يحججون أبنائهم، فعن السائب بن يزيد قال: حجَّ بي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن سبع سنين[٢].

-تعليمهم آداب الأكل: وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم تعويد الصبيان آداب الأكل، فقد كان عمر بن أبي سلمة يقول: كنت غلامًا في حجر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «يا غلام سمِّ الله، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك» فما زالت تلك طعمتي بعد[٣].

ثالثًا: كيفية دعوة الأبناء:

إن المتأمل في وعظ الآباء لأبنائهم في القرآن الكريم بوجه عام، وفي وعظ لقمان لابنه بوجه أخص، يجد أنّ الله -عَزَّ وجَلَّ- قد وصف الأب بالحكيم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[٤]. فذكره بأحسن الذكر، فإنه آتاه الحكمة، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف.[٥] وهذا رد على مشركي قريش على سلوك التقليد الأعمى للآباء والأجداد، فوصف الله الأب بالحكيم، وذم الله آباءهم بأنهم لا يعقلون، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[٦].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصيام، باب صوم الصبيان، (١٩٦٠)، ٧٠/٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب حج الصبيان، (١٨٥٨)، ٢٤/٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، (٥٣٧٦)، ٨٨/٧.

(٤) سورة لقمان: ١٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٣٦/٦.

(٦) سورة البقرة: ١٧٠.

فنجد أن الطريقة التي ارتكز عليها لقمان الحكيم في دعوته لابنه إظهار الشفقة أولًا قبل النصح والوعظ ليكون أدعى للاستجابة، قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ ﴾[١] مناديًا له بصيغة التعطف والشفقة والتحبب.[٢] وهذا ظاهر في دعوة نوح عليه السلام لابنه، قال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٣]. ويشترط أن لا تطغى الشفقة فتوجه توجيها غير سوي عكس مراد الشارع، فيمتنع الأب من إيقاظ ابنه لأداء صلاة الفجر، خشية عليه من أنه لم يأخذ كفايته من النوم، أو منع ابنه من الذهاب للمسجد لأنه لم يصل حد التكليف والبلوغ، أو نحو ذلك من الأعذار التي يظهر منها عكس مراد الشارع، وخلو الموانع. قال الحسن البصري: إن منعته أمه عن العشاء في جماعة شفقة عليه لم يطعها[٤]. إن منعت الرجل أمه عن الحضور إلى الصلوات مع الجماعة شفقة عليه لم يطع أمه فيه، مع أن طاعة الوالدين فرض في غير المعصية، وإنما عين الأم مع أن الأب كذلك في وجوب طاعتهما، لأن الأم أكثر شفقة من الأب على الأولاد.[٥]

---

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ٢٦٣/١٦.

(٣) سورة هود: ٤٢.

(٤) اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البِرْماوي، أبو عبدالله محمد بن عبدالدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ٤٨٨/٣، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

(٥) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، ١٥٩/٥، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

كما نجد أن لقمان ناداه بأحب الأسماء وألطفها، فقال يا بُنَيَّ. حيث نجد أن لقمان استعمل يا بُنَيَّ، فخاطبه بأحب ما يخاطب به، مع إظهار الترحم والتحنن والشفقة، ليكون ذلك أدعى لقَبول النصح.[١]

كما يلحظ أن لقمان سلك مسلك تكرار الوعظ مع ابنه، حيث جاء ذكر "يعظه" بجملة فعلية، تدل على التجدد والحدوث، وبهذا يؤكد أن لقمان كان يعظ ابنه تكرارًا ومرارًا، وجاء ذكر "يا بُنَيَّ" ثلاث مرات، مما يدل على أن لقمان كرر وعظ ابنه. فتكرير المناداة على هذا الوجه تنبيهًا على فرط النصيحة لفرط الشفقة.[٢] وتأديب الولد، بسوق الكلام على وجه يدل على تكرير وعظه بما ينفعه ويرقق قلبه ويهذب نفسه، ويوجب له الخشية والعدل.[٣]

فلا يظن أن لقمان يكرر المواعظ لابنه حتى يصل لسآمة والملل، لما وصفه الله بالحكيم. والحكمة الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول.[٤]

ولذا ينبه من سلوك تكرار المواعظ حد الملل، فيصل الابن لحد الملل أو السآمة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخول أصحابه بالمواعظ خشية الملل. وكان عبد الله بن مسعود يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟ قال أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملّكم، وإني أتخوّلكم بالموعظة كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتخوّلنا بها مخافةَ السآمة علينا[٥].

قال ابن بطال: فيه ما كان عليه الصحابة -رضي الله عنهم- من الاقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، والمحافظة على سنته على حسب معاينتهم

---

(١) نظم الدرر ، البقاعي، ١٦١/١٥.

(٢) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ١٧٣/١٥.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٦١/١٥.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ١٣٤/٢٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة، (٧٠)، ٣٩/١.

لها منه، وتجنب مخالفته لعلمهم بما في موافقته من عظم الأجر، وما في مخالفته بعكس ذلك.[١]

كما نجد أن لقمان الحكيم استعمل في وعظه لابنه بأسلوب تحقير المعاصي، فقال: (إنها)، قال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ ﴾[٢] مصغرًا له بالنسبة إلى حمل شيء من غضب الله تعالى مستضعفًا: {إنها} أي العمل، وأنث لأنه في مقام التقليل والتحقير، والتأنيث أولى بذلك، ولأنه يؤول بالطاعة والمعصية والحسنة والسيئة.[٣]

كما نجد أنّ لقمان الحكيم وعظ ابنه بقواعد الدين وأصوله وأساسياته ومرتكزات المجتمعات الإسلامية، فأمره بإخلاص العبادة لله والبعد عن الشرك، وأمر بشكر الخالق والبر بالوالدين، وأمره بمراقبة الله في السر والعلن، وأمره بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمره بامتثال الصبر، وأمر بالتواضع من آداب الحديث والتخاطب وآداب السير، والاقتصاد في كل شيء، وبهذا تكون موضوعات الدعوة ومضامينها التي وعظ بها الابن أصول الدين ومرتكزاته؛ ولذا ينبغي للآباء والمربين والمصلحين والمهتمين بدعوة الناشئة الاستفادة من تلك التجربة الحكيمة من حكيم وصفه الله بذلك.

المبحث الرابع: فقه الدعوة المتعلق بموضوعات الدعوة في ضوء سورة لقمان

إن المتأمل في الموضوعات الدعوية التي جاءت في أثناء موعظة لقمان الحكيم لابنه عديدة ومتنوعة في مجالاتها، فقد اشتملت على العقيدة والعبادات والمعاملات والآداب والأخلاق، فجاء التحذير من الشرك، والبر بالوالدين والإحسان إليهما وإن كانوا غير مسلمين، والأمر بإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطرق التخاطب والتعامل مع الناس

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ٤٨/٢.

(٢) سورة لقمان: ١٦.

(٣) نظم الدرر ، البقاعي، ١٧١/١٥.

وآداب المشي والسير، وسأقتصر على الحديث على التحذير من الشرك، والبر بالوالدين والإحسان، وإقامة الصلاة، وأما باقي الموضوعات فجاء الحديث عنها في المبحث الثاني المتعلق بالداعية.

الموضوع الأول: التحذير من الشرك:

ابتدأ لقمان الحكيم في عرض أول وصاياه وحكمه ومواعظه لابنه بأعظم أمر وأهمه، ألا وهو النهي عن الشرك بالله؛ فهو أعظم ذنب عصي الله به، ولا يقبل الله معه عمل عامل، فعن عبد الله، رضي الله عنه، قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾[1] شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله: أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[2] [3]، وجاء التحذير من الشرك وبيان سوء عاقبته في كتاب الله وسنة نبيه.

أن مرتكبه في ضلال بعيد ومقترفه إذا مات عليه لا يحظى بمغفرة الله له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[4] والشرك يحبط الأعمال ويذهب بثوابها، قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[5] إن المشرك موصوف بالكذب والافتراء، قال سبحانه: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾[6] وأول ما دعا إليه الأنبياء التوحيد والتحذير من الشرك، وجاء التحذير من الشرك في السنة النبوية، وعد الشرك من أكبر الكبائر، بل إنه أكبرها جمعاء؛ فعن أنس

---

(1) سورة الأنعام: ٨٢.

(2) سورة لقمان: ١٣.

(3) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب قول الله تعالى: چںںڻڻچ، (٣٤٢٩)، ١٩٨/٤.

(4) سورة النساء: ١١٦.

(5) سورة الأنعام: ٨٨.

(6) سورة النساء: ٤٨.

بن مالك رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر أو سئل عن الكبائر فقال (الشرك بالله) [١]

فإن الشرك أظلم الظلم، كما أن أعدل العدل التوحيد. فالعدل قرين التوحيد، والظلم قرين الشرك، ولهذا يجمع سبحانه بينهما.[٢]

فينبغي للدعاة إلى الله استشعار خطورة الشرك والتحذير منه، وجعله من أول الأولويات الموضوعات الدعوية وإعطاؤه حقه في تبصير المَدْعُوّين ووعظهم بأضراره.

الموضوع الثاني: البر بالوالدين والإحسان إليهما وإن كانا غير مسلمين:

لما أمر الله لقمان الحكيم بحق الله بعدم الإشراك به، أمر ببر الوالدين والإحسان لهما، فقال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[٣] فأمر الله بالإحسان إلى الوالدين وأكد على البر بالأم لما تواجهه في سبيل تربية ابنها من حمل وإرضاع وتربية، فهذا كله يلزم شكرهما، وأكد الإحسان للوالدين غير المسلمين، وتأكيد الكفر ليس موجبًا لترك الإحسان، وفي ثلاث آيات يؤكد الله -عَزَّ وجَلَّ- في كتاب حق البر بالوالدين بعد حقه، قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[٤] ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[٥] وقال الله -عَزَّ وجَلَّ-:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب عقوق الوالدين من الكبائر، (٥٦٣٢)، ٥/٢٢٣٠.

(٢) بدائع الفوائد، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق بكر أبو زيد، ٣/٦٧٤، دار عالم الفوائد.

(٣) سورة لقمان: ١٤-١٥.

(٤) سورة النساء: ٣٦.

(٥) سورة الأنعام: ١٥١.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[١] وقد دعا إبراهيم عليه السلام أباه وجاء تكرار ذلك في كتاب الله، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٢] كما جاء التأكيد على بر الوالدين في السنة النبوية وزيادة حق الأم عن الأب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال (أمك). قال ثم من؟ قال (ثم أمك). قال ثم من؟ قال (ثم أمك). قال ثم من؟ قال (ثم أبوك).[٣]

قال النووي: وفيه الحث على بر الأقارب، وأن الأم أحقهم بذلك، ثم بعدها الأب ثم الأقرب فالأقرب. قالوا: وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها.[٤]

والإحسان إلى الوالدين يكون بالقول الليّن، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، وإكرامهما وإجلالهما، والقيام بمئونتهما واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بالقول والفعل.[٥] وقد نزلت آية الإحسان للوالدين غير المسلمين في سعد بن أبي وقاص حين أسلم. فعن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبى وقاص قال: كانت أمي حلفت أن لا تأكل ولا تشرب حتى أفارق محمدًا صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[٦] [١]

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣.

(٢) سورة الأنعام: ٧٤.

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، (٥٦٢٦)، ٢٢٢٧/٥، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، (٢٥٤٨)، ١٩٧٤/٤.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ١٠٢/١٦.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٦٤٨.

(٦) سورة لقمان: ١٥.

فينبغي للدعاة حث المَدْعُوّين على البر والإحسان للوالدين بالمواعظ والنصائح وبالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى، وبيان فضل البر وعظم شأنه، واحتساب الأجر في ذلك نظرًا لما تكبدا من مشاق وسهرا ليلًا وتعبا نهارًا حتى أصبح الابن فتًى قادرًا على القيام بشؤونه.

الموضوع الثالث: المحافظة على الصلاة وأدائها في أوقاتها:

إن الصلاة من شرائع الأديان السابقة، وهي ركن من أركان الإسلام، وجاء في وعظ لقمان الحكيم التأكيد عليها، قال الله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[٢] وذكر الله في كتابه الصلاة عند ذكر الأنبياء وأنها من الشرائع السابقة. وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم تشريع هذه الطاعات، وأنها كانت مأمورًا بها في سائر الأمم، وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشأن، سابقة القدم على ما سواها، موصًى بها في الشرائع كلها.[٣] قال الله عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[٤] وعن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[٥] وقال الله عن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[٦] وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ

---

(١) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، باب بر الوالد المشرك، (٢٤)، ص٢٢، قال الألباني: صحيح، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.

(٢) سورة لقمان: ١٧.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، ٤٩٧/٣.

(٤) سورة إبراهيم: ٣٧.

(٥) سورة البقرة: ١٢٥.

(٦) سورة يونس: ٨٧.

وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[١] وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ﴾[٢] وعن زكريا عليه السلام: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾[٣] وقال عن مريم عليها السلام: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[٤] وقال الله عن سائر الأنبياء عليهم السلام: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[٥] وجاء ثناء الله على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة صلاتهم، فقال سبحانه: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾[٦].

ومن عظم مكانة الصلاة أنها لا تسقط حال المرض، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال: «صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب»[٧] وحذر النبي -صلى الله عليه وسلم- من تركها، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: «إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر».[٨] ومن عظم شأنها أنها لا تترك في

---

(١) سورة مريم: ٣١.

(٢) سورة هود: ٨٧.

(٣) سورة آل عمران: ٣٩.

(٤) سورة آل عمران: ٤٣.

(٥) سورة مريم: ٥٨.

(٦) سورة الفتح: ٢٩.

(٧) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا لم يطق قاعدًا صلى على جنب، (١٠٦٦)، ٣٣٦/١.

(٨) سنن النسائي، كتاب الصلاة، باب الحكم في ترك الصلاة، (٤٦٣)، ٢٣١/١، المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة،، الناشر:

حال الحرب، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾[1]. ولو لم تكن واجبة لرخص فيها حالة الخوف، ولم يجز الإخلال بواجبات الصلاة من أجلها.[2]

فينبغي للدعاة إلى الله الاهتمام بموضوع الصلاة وحث المَدْعُوّين بالوسائل الدعوية المتنوعة وبالأساليب الناجعة مع من هم مستهدفون بالدعوة.

المبحث الخامس: فقه الدعوة المتعلق بوسائل الدعوة وأساليبها في ضوء سورة لقمان:

اشتمل وعظ لقمان الحكيم لابنه على عدد من وسائل الدعوة وأساليبها، ومن الوسائل الدعوية أنه نهاه عن التكبر وإظهار ذلك على فلتات اللسان وتعابير الوجه، ونهاه عن رفع الأصوات في وجوه المتخاطبين، واستعمل وسيلة التعليم لوعظ ابنه، كما سلك لقمان الحكيم أساليب دعوية، منها أسلوب البدء بالأهم ثم المهم، وضرب المثل، وأسلوب تعليل الحكم، وسأفرد كل وسيلة وأسلوب على حدة أبين فيه الشاهد منه، وأبين أهميته في المجال الدعوي.

أولًا: أهمية بشاشة الوجه:

إن من المواعظ التي ذكرها لقمان الحكيم لابنه ما يعد منهجًا دعويًّا يرسم للناس أجمعين سبل ووسائل وطرق اللقاءات والمقابلات مع الناس، ففي الوجه تعابير لها دلائل وسمات راعاها لقمان في تعليم ابنه، وحري بمن يسلك طريق الدعوة إلى الله أن يمتثلها، ففي مُحَيَّا وجه الداعية قناة توصل لما يود قوله للمدعوين، وبه مفتاح يوصل من خلاله ما يود إيصاله من

مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، وسنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، (١٠٧٩)، ٣٤٢/١ .

(١) سورة النساء: ١٠٢.

(٢) المغني، موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، ١٣٠/٢، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة.

موضوع دعوي، ولذا قال لقمان الحكيم: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾[١] لا تُمِلْهُ وتعبس بوجهك للناس، تكبُّرًا عليهم وتعاظمًا.[٢] بل أقبِل عليهم بوجهك كله مستبشرًا منبسطًا من غير كبر ولا علو.[٣]

وجاء في السنة النبوية ما يبين أهمية بشاشة المُحَيَّا وأثره في نفوس المَدْعُوّين. فعن قيس عن جرير بن عبد الله البجلي –رضي الله عنه– قال: ما حجبني النبي –صلى الله عليه وسلم– منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي.[٤] وعن أبي ذر ﷺ قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق».[٥]

قال ابن عيينة: "البشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هيّن: وجه طليق، وكلام ليّن"، وفيه رد على العالم الذي يصعّر خدَّه للناس كأنه معرض عنهم، وعلى العابد الذي يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه منزه عن الناس مستقذر لهم، أو غضبان عليهم.[٦]

والوجه الطلق هو: "المتهلل بالبشر والابتسام؛ لأن الظاهر عنوان الباطن؛ فلقياه بذلك يشعر بمحبتك له وفرحك بلقياه، والمطلوب من المؤمنين التوادّ والتحابّ"[٧].

---

(١) سورة لقمان: ١٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي، ص٦٤٨.

(٣) نظم الدرر ، البقاعي، ١٧٧/١٥.

(٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الأدب، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب التبسم والضحك، (٥٧٣٩)، ٢٢٦٠/٥، صحيح مسلم، باب فضائل جرير بن عبدالله رضي الله عنه، (٢٤٧٥)، ١٩٢٥/٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، (٢٦٢٦)، ٢٠٢٦/٤.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ، ٢٢٦/٣.

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، ١٦٥/٥.

فينبغي للدعاة إلى الله امتثال هذه الوسيلة الدعوية التي لا تكلف لا ثمنًا ولا جهدًا، وبها تُفْتَح قلوب غلف، وأعين عمي، وآذان صم، وبها يصل موضوع الدعوة إلى المَدْعُوّين بأفضل حال.

ثانيًا: أهمية مستوى الصوت:

إن لقمان الحكيم بين لابنه آداب التخاطب والحديث مع الناس ووضّح شناعة رفع الصوت فوق المعتاد والمطلوب، فقال الله تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾[1] في الآية دليل على تعريف قبح رفع الصوت في المخاطبة والملاحاة بقبح أصوات الحمير، لأنها عالية، وفيه أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاونًا بهم، أو بترك الصياح جملة، وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير وغير ذلك، فمن كان منهم أشد صوتًا كان أعز، ومن كان أخفض كان أذل.[2]

عن عبد الله بن كعب بن مالك أن كعبًا أخبره: أنه تقاضى ابن أبي حدرد دينًا له عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو في بيته، فخرج إليهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى كشف سجف حجرته ونادى (يا كعب بن مالك يا كعب)، قال لبيك يا رسول الله فأشار بيده أن (ضع الشطر من دينك). [3]

وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفًا لهم؛ إذ هم ورثة الانبياء.[4] ولما كان رفع الصوت فوق العادة منكرًا كما كان خفضه دونها تماوتًا أو دلالًا وتكبرًا، وكان قد أشار إلى النهي عن هذا ب «من» فأفهم أن الطرفين مذمومان.[5]

---

(1) سورة لقمان: ١٩.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧٢/١٤.

(3) صحيح البخاري، باب رفع الصوت في المساجد، (٤٥٩)، ١٧٩/١.

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٠٧/١٦ .

(5) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٧٩/١٥.

فينبغي للدعاة إلى الله التنبيه على أهمية ضبط درجة الصوت بين المتخاطبين وأثره فيهم، ويشمل ذلك آلات نقل الأصوات من مكبرات وغيرها أن يراعى فيه درجة ومستوى الصوت للآلات والأجهزة، وألا تنقص أو يزاد عليها بل توضع على درجة تتواءم مع قرب وبعد المَدْعُوّ منها.

ثالثًا: أهمية وسيلة التعليم:

إن التعليم من الوسائل الدعوية التي سلكها لقمان الحكيم مع ابنه وذكرها الله في كتابه، فقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾[١] إشارة إلى التكميل، وفي هذا لطيفة وهي أن الله ذكر لقمان وشكر سعيه؛ حيث أرشد ابنه ليعلم منه فضيلة النبي عليه السلام الذي أرشد الأجانب والأقارب فإن إرشاد الولد أمر معتاد، وأما تحمل المشقة في تعليم الأباعد فلا.[٢]

وقد سلك رسول الله عليه الصلاة والسلام هذه الوسيلة في تعليم الصحابة رضي الله عنهم، وورد كثير من الأحاديث، فكان صلى الله عليه وسلم يعلمهم الصلاة، فعن أبي هريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن لا نبادر الإمام بالركوع، والسجود"[٣] وكان يعلمهم التشهد، فعن ابن عباس، قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن[٤]" ويعلمهم صلاة الاستخارة، فعن جابر -رضي الله عنه- قال كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن"[٥]" ويعلمهم سجود التلاوة، فعن ابن عمر، قال: " كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعلمنا القرآن، فإذا مر بسجود القرآن سجد وسجدنا

---

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ١١٩/٢٥.

(٣) المسند، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (٩٦٨٢)، ٤٢٦/١٥-٤٢٧، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) المسند، مسند عبدالله بن عباس رضي الله عنه، (٢٦٦٥)، ٤٠٧/٤، إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الدعاء عند الاستخارة، (٦٣٨٢)، ١٥٧/١٦.

معه"[١]، وأرسل صلى الله عليه وسلم أمين الأمة، أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه لليمن ليعلم أهل اليمن دين ربهم، فعن أنس بن مالك، أن أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ابعث معنا رجلًا يعلمنا، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيد أبي عبيدة بن الجراح، فأرسله معهم فقال: " هذا أمين هذه الأمة"[٢]. فلقمان أراد تعليم ابنه إلى السداد في الأوصاف الإنسانية والأوصاف التي هي للملك الذي هو أعلى مرتبة منه.[٣]

والعلم أفضل ما اكتسبته النفوس، وأجل ما حصلته القلوب، ومن أبين المحال أن يكون أفضل الرسل قد علم أمته آداب البول قبله وبعده ومعه، وآداب الوطء، وآداب الطعام والشراب، ويترك أن يعلمهم ما يقولونه بألسنتهم وتعتقده قلوبهم في ربهم ومعبودهم.[٤]

فينبغي للدعاة استثمار هذه الوسيلة لتعليم المَدْعُوّين أمور دينهم، ومعرفة ما يحتاجون إليه من سائر موضوعات الدين من موضوعات التوحيد وموضوعات العبادات والمعاملات والآداب والأخلاق، وأن يراعى أصناف المَدْعُوّين واختلاف مستوياتهم العلمية والمعرفية.

رابعًا: أسلوب البدء بالأهم ثم المهم:

إن لقمان الحكيم راعى في وعظه لابنه أسلوب تقديم المهمات على ما دونها في وعظه وتعليمه على حسب أهميتها، فنجد أنه بدأ بمنع الشرك وبيان أنه

---

(١) المسند، مسند عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، (٦٤٦١)، ٤٨٧/١٠، حديث صحيح.

(٢) المسند، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، (١٢٤٨١)، ٤٦٤/١٩، إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ١٢٣/٢٥.

(٤) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، ١٥٨/١، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.

أعظم الظلم، ثم ثنى موعظته بالوالدين وبيان حقهما، وأن حقهما في الأهمية بعد حق الله، ثم مسألة اطلاع الله على العبيد ومراقبته لهم، وأنه لا يخفى عليه خافية، ثم ذكر الصلاة، ثم آداب التخاطب والحديث والمشي، إذ إنّ هذا أسلوب حكيم، اتبعه الأنبياء والمرسلون، وأشرف وخير الأنبياء محمد بن عبدالله ﷺ، حيث تقول عائشة رضي الله عنها، "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا"[١].

وحديث النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ عندما أرسله لليمن دعوة أهلها للإسلام يرسم منهجا لأسلوب بالبدء بالأهم ثم المهم، فعن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن، قال: " إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فادعهم الى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله -عز وجل- حجاب"[٢]

قال القرطبي: وهذا الاحتمال أظهر مما تمسكوا به، ولو لم يكن أظهر فهو مساوٍ له، فيكون ذلك الخطاب مجملًا بالنسبة إلى هذا الحكم، أو أن النبي إنما رتب هذه القواعد ليبين الأهم فالأهم، والله أعلم.[٣]

([١]) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، (٤٧٠٧)، ١٩١٠/٤.

([٢]) المسند، مسند عبدالله بن العباس رضي الله تعالى عنه، (٢٠٧١)، ٤٩٨/٣، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

([٣]) دليل الفالحين ، ابن علان ، ٥٢٣/٢.

ولما كانت العلوم متكثرة والمعارف متعددة، وكان الزمان لا يتسع لتحصيل جملتها مع تقاصر الهمم وكثرة القواطع، كان الواجب السعي في تحصيل أكملها والإحاطة بأفضلها تقديمًا لما هو الأهم فالأهم.[١]

فينبغي للدعاة إلى استشار أسلوب البدء بالأهم ثم المهمات، فهو أسلوب أصيل في مجال الدعوة إلى الله.

خامسًا: أسلوب ضرب المثل:

إن ضرب الأمثال من الأساليب الدعوية التي استعملها لقمان الحكيم في وعظ ابنه، فقد ضرب لابنه مثلا في بشاعة رفع الصوت وعدم التأدب مع المخاطبين بصوت الحمار، فقال سبحانه: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[٢]. ضرب للصوت الوضيع مثلًا، بأقبح الأصوات، وذكر صوت الحمير، لأن صوتها هو المعروف عند العرب وسائر الناس بالقبح، وإن كان قد يكون ما سواه أقبح منه في بعض الحيوان، وإنما ضرب الله المثل بما هو المعروف عند الناس.[٣]

وقد ضرب الله الأمثال، فقال -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾[٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥].

كما استخدم النبي -صلى الله عليه وسلم- أسلوب ضرب المثل كثيرًا، فمن ذلك ما صحَّ عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا ما تقول ذلك يبقي من درنه؟» قالوا: لا يبقي من درنه شيئًا. قال: «فذلك مثل الصلوات

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد رشاد سالم، ٤٦/٢، الناشر: دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١هـ.

(٢) سورة لقمان: ١٩.

(٣) بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، ٢٦/٣.

(٤) سورة العنكبوت: ٤٣.

(٥) سورة الحشر: ٢١.

الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا».[١] وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة».[٢] وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»[٣].

فلضرب المثل شأن لا يخفى، ونور لا يطفى، يرفع الأستار عن وجوه الحقائق، ويميط اللثام عن محيا الدقائق، ويبرز المتخيل في معرض اليقين، ويجعل الغائب كأنه شاهد، وربما تكون المعاني التي يراد تفهيمها معقولة صرفة، فالوهم ينازع العقل في إدراكها حتى يحجبها عن اللحوق بما في العقل.[٤] وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس؛ فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبت في

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، (٥٢٨)، ٥٣٩/١.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، (٥٢١٤)، ٢١٠٤/٥، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، (٦٨٦٠)، ٣٧/٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله -عَزَّ وجَلَّ-، (٦٠٤٤)، ٢٣٥٣/٥.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبدالباري عطية، ١٦٥/١، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس؛ ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد.[١]

فينبغي للدعاة إلى توظيف أسلوب ضرب المثل في دعوتهم للمدعوين وتجسيد الحقائق الغامضة عنه بصور محسوسة يلامسونها في محيط مجتمعهم، ويلامس بيئتهم لتصل إلى أذهانهم.

سادسًا: أسلوب تعليل الحكم:

إن المتأمل يجد أن لقمان الحكيم وعظ ابنه فبين له أوامر ونواهي شرعية، وبين له سبب وعلل إيجابها أو تحريمها، وبين الإمام الشاطبي مدلول هذا الأسلوب. فقال: وأما العلة فالمراد بها الحكم والمصالح التي تعلقت بها الأوامر أو الإباحة، والمفاسد التي تعلقت بها النواهي.[٢] فنجد لقمان عند بيان منع الشرك ذكر سبب ذلك بكونه ظلمًا عظيمًا، قال سبحانه: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٣] وعند الأمر بالبر بالوالدين، بين الموجب لبرهما الحمل ومشاقه والإرضاع. وخص الأم بالذكر وفي الأب ما وجد في الأم فإن الأب حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو أبلغ.[٤] فقال – عَزَّ وجَلَّ–: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[٥] وعند نهي ابنه عن التكبر بين له سبب ذلك، وهو أن الله لا يحب كل مختال فخور، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤/٤٥، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٢) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ١/٤١٠-٤١١، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٣) سورة لقمان: ١٣.

(٤) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ٢٥/١٢٠ .

(٥) سورة لقمان: ١٤.

مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[١]، وهذا أسلوب شرعي دعوي، جاء استخدامه في آيات كثيرة، كقول الله تعالى في سبب خلق الجن والإنس: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢]، وعن علة النهي عن رفع الأصوات فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم بين أنه يحبط به الأعمال، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[٣]، وعن علة إرجاع موسى عليه السلام لأمه، لأجل أن تطمئن، فقال الله -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾[٤].

كما استخدم أسلوب التعليل في السنة النبوية في أحاديث عديدة، فبين -صلى الله عليه- عندما اشتكى فقراء الصحابة له قلة ذات اليد وتفوق أهل الغنى عليهم بالصدقة بالمال، فوضّح أن الصدقة تشمل التسبيح والتحميد، فعن أبي ذر، قال: قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون، إن بكل تسبيحة صدقة، وبكل تحميدة صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة»[٥]، وعلل صلى الله عليه وسلم غمس الذباب في السوائل حال سقوطها فيه بأن في أحد جناحيها داء وفي الآخر دواء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء»[٦]، وعلل -صلى الله

---

(١) سورة لقمان: ١٨.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) سورة الحجرات: ٢.

(٤) سورة القصص: ١٣.

(٥) المسند، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، (٢١٤٧٣)، ٣٧٦/٣٥، حديث صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب إذا وقع الذباب في الإناء، (٥٧٨٢)، ٤٤٤/١٤.

عليه وسلم- تحريم تناجي اثنان دون الثالث، بأنّ ذلك يحزن الثالث، فعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه"[١] فأئمة الفقهاء متفقون على إثبات الحكمة والمصالح في الأحكام الشرعية.[٢]

فينبغي للدعاة إلى الله معرفة أن تعليل حكم الشرع ليس مطلقًا، فقد يتبين من خلال النصوص الشرعية ، وقد يجتهد العلماء في بيانه، وإن لم تتبين علله من قِبل الشارع فليعلم أن حكم الشارع تتضمن دائمًا جلب المصالح للإنسان ودفع المفاسد عنه؛ ولذا ينبغي للدعاة بيان العلل التي بينها الشارع، وما ذكره العلماء اجتهادًا منهم للمدعوين؛ فإن ذلك يزيدهم في المأمور به ترغيبًا فيه، ويبعدهم في المنهي ترهيبًا منه.

---

(١) المسند، مسند عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، (٣٥٦٠)، ٢٥/٦.

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية الحراني ، ٩٦/١.

الخاتمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخير من دعا إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، ورضي الله عن آل بيته الكرام، وأصحابه الأعلام، وعن كل صادق متبع لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

فهذه خاتمة البحث أذكر فيها أهم نتائجه على النحو الآتي:

١. سورة لقمان مكية كلها على الراجح من أقوال أهل العلم.

٢. سُمّيت السورة بسورة لقمان لاشتمالها على ذكر موعظة لقمان لابنه.

٣. اشتملت السورة الكريمة على كثير من الفوائد الدعوة التي تعين على تعلُّم فقه الدعوة وتطبيقه.

٤. الراجح أن لقمان لم يكن نبيًّا لعدم ثبوت نص يدل على نبوته، فقد كان رجلًا مؤمنًا صالحًا حكيمًا.

٥. الإخلاص هو روح الدعوة، ومحرك الداعية الأول لتحقيق أهداف الدعوة ومقاصدها.

٦. الأمر بإخلاص التوحيد، والنهي عن الشرك بجميع صوره، هما أساس دعوة جميع الأنبياء والرسل، ويجب على الدعاة الاهتمام بهما عند ممارسة العمل الدعوي على قدر منزلتهما من الدين.

٧. طاعة غير الله تعالى مشروطة بألا تكون في معصية الله.

٨. أهمية العلم في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، فهو زاد الداعية، ومادة رسالته، ودليل مسيرته.

٩. من أهم صفات الداعية الشكر، وأعلاه شكر الله تعالى، وهو يزيد النعم، ومن أفضل النعم على الداعية نجاح دعوته وتأثيرها في المدعوين، ومن شكر الله تعالى شكر عباده، فهو من مكارم الأخلاق، ومما يزيد تأثير الدعوة في نفوس المدعوين.

١٠. للتأسي والاقتداء مكانة عظيمة في مسيرة الداعية، فهو يقتدي بالأنبياء والرسل والصالحين من أتباعهم في ممارسة عمله الدعوي، وفي تعامله من

المدعوين، ويجب أيضًا أن يستقيم الداعية على منهاج الدعوة التي يقوم بتبليغها ليكون قدوة للمدعوين.

١١. تقوى الله تعالى واستشعار مراقبته واطلاعه على العبد من أسس نجاح الداعية في دعوته؛ إذ إنها تجعله قريبًا من الله، وتجعل له قبولًا بين الناس فتؤثر دعوته بتوفيق الله تعالى في المدعوّين.

١٢. الصبر على ما يصيب الداعية في مسيرته الدعوية من فقه الدعوة المستنبط من موعظة لقمان الحكيم، فقد بينت هذه الموعظة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينتج منهما إصابة الداعية بالأذى الذي يستلزم التحلي بالصبر والثبات في سبيل تحقيق أهداف الدعوة.

١٣. من ركائز نجاح الداعية أن يتحلّى بالحرص على هداية المدعوين مهما تطلب ذلك من وقت وجهد.

١٤. التواضع وخفض الجناح من أسباب قبول المدعوين للداعية ودعوته، ومن عوامل رسوخ محبة الداعية في قلوب المدعوين، وعلو مكانته في نفوسهم.

١٥. من فقه الدعوة المتعلق بالمدعوين ضرورة الاهتمام بتربية الأولاد تربية إيمانية تؤصل في نفوسهم العقيدة الصحيحة، والالتزام بأحكام الشريعة الغرّاء، والتحلّي بمكارم الأخلاق.

١٦. من فقه الدعوة تخوُّل المدعوّين بالموعظة والنصيحة، وعدم الإكثار عليهم حتى لا تمل نفوسهم من الدعوة.

١٧. من العوامل المؤثرة في استمالة المدعوّ نداؤه بأحبّ الأسماء والصفات إلى نفسه، وإظهار مكانته عند الداعية، واحترام الداعية له وتوقيره.

١٨. ضرورة تركيز الداعية على فضل بر الوالدين والإحسان إليهما، وأنه مأمور به بعد الأمر بعبادة الله تعالى في عدة مواضع من كتاب الله إشارةً إلى عظم منزلتهما، ووجوب القيام بحقوقهما على أكمل وجه ممكن.

١٩. اشتملت موعظة لقمان لابنه على التنبيه على منزلة الصلاة والأمر بإقامتها على الوجه المطلوب شرعًا؛ لأن إقامتها من أهم أسباب الفلاح والنجاح في الدارين.

٢٠. من أسباب نجاح الدعوة بشاشة وجه الداعية وتبسمه في كل حال؛ لأن النفوس جبلت على حب صاحب الوجه الباش والإقبال عليه، وقَبُول الحوار معه، بخلاف صاحب الوجه العبوس الكئيب، فإنها تنفر منه، ولا تقبل الحوار معه، وترفض الاستجابة لدعوته ونصيحته.

٢١. من فقه الدعوة التوجيه إلى ضبط مستوى الصوت بما يناسب المقام بأن يكون بقدر ما يسمع المخاطب، فلا يكون مرتفعًا مزعجًا، ولا يكون منخفضًا لا يُسمع.

٢٢. التعليم أساس من أسس العمل الدعوي، والداعية لا يكون داعية ناجحًا إلا إذا كان معلمًا ناجحًا يمتلك أسباب نجاح التعليم، ويتقن طرائق التدريس المقنعة للعقول، والمؤثرة في النفوس.

٢٣. من فقه الدعوة كذلك مراعاة التدرج في ممارسة العمل الدعوي بان يبدأ الداعية بالأهم ثم المهم.

٢٤. من الأساليب المؤثرة في نجاح الدعوة أسلوب ضرب الأمثال لأنه يوضّح المعنى ويقرّبه إلى الأذهان، ويجعل الأمر المعقول مشابهًا للأمر المحسوس، ولهذا أثر كبير في فهم المدعو لموضوع الدعوة الذي يساق المثل من أجل عرضه، لأن إدراك المحسوسات أسهل وأكثر ثباتًا في النفوس من إدراك المعقولات.

٢٥. بينا علل الأحكام الشرعية يعين الداعية على إقناع المدعوين بها، وإلقاء الضوء على عظمة التشريع، وأنه يشتمل على الأمر بما فيه مصلحة البشر، والنهي عمّا فيه مضرتهم، ومن طبيعة الناس أن يكون قبولهم وحماستهم لما يفهمون سببه وعلته أكثر وأدوم من قبول ما لا يفهمون علته، ولا يدركون حكمته.

المراجع:

-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٨هـ.

-الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

-الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩

-التفسير القرآني للقرآن، عبد الكَريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.

-الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط: ٢، ١٩٦٤م.

-الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، الناشر: دار الشعب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

-الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

-المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة،، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

-بدائع الفوائد، للإمام ابن قيم الجوزية، تحيق بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد.
-المدخل، محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، الناشر: دار التراث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
-المسند، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، الناشر: مؤسسة الرسالة.
-المغني، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة.
-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ه.
-الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغَرْناطي الشهير بالشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ه.
-اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
-اللباب في علوم الكتاب، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

-بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
-تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الحديث - القاهرة.
-تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
-تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت: سامي محمد سلامة،، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٩٩٩م.
-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، طبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
-تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار النشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.
-تفسير القرآن، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
-دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
-درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١ه.

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

-زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

-سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الفكر.

-سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر - بيروت.

-سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

-فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ٣٤١/١١، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

-فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الكلم طيب، بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ.

-فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المَدْعُوّ بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ه.

-معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م

-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
-مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠هـ.
-مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
-منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
-لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الطبعة: الثالثة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر.